

المنظور الحضاري الإسلامي في العلاقات الدولية:

كمدخل لتحقيق: " ادخلوا في السلم كافة "

د/ حبيبة رحايبي . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . الجزائر

hrehaibi@yahoo.fr

المؤتمر الدولي الأول حول:

العلوم الشرعية: تحديات الواقع وآفاق المستقبل

المنعقد خلال الفترة من 4 إلى 6 ربيع الآخر 1440 هـ / الموافق له 11 إلى 13 ديسمبر 2018

كلية العلوم الشرعية . سلطنة عمان

الملخص:

لقد تركزت منظورات العلاقات الدولية حول الوضعية المادية، وما أقامته من أسس ومرتكزات لها، ضاربة بالقيم والأخلاق والدين بعيدا عن التناول والدراسة على مستوى هذا الحقل، وهو ما مهدت لبروزه ما يعرف "بالنظريات التأميلية أو التكوينية"، فقد أوجد هذا التوجه الذي يسعى لأن يشكل منظورا (من مجموع النظريات النقدية والاجتماعية ونظريات ما بعد الحداثة)؛ بعدا جديدا، وطرحا جديدا، وأفكارا جديدة، يحاول التأسيس لها في مواجهة التيار العقلاني أو في مواجهة الوضعية .

وبذلك استطاع هذا التوجه الجديد؛ أن يفسح المجال أمام أبعاد جديدة في تفسير وتحليل الظاهرة الدولية، من ذلك "البعد الديني والقيمي، والبعد الثقافي والهوياتي .. لتدخل كمتغيرات لتفسير وتحليل ودراسة العلاقات الدولية.

ومن جهة أخرى، أفسح هذا البعد الجديد في دراسة العلاقات الدولية ومكن من تناول المدخل/ المنظور الحضاري بوجه عام في تفسير وتحليل الظاهرة الاجتماعية، والظاهرة الدولية (في إطار العلاقات الدولية) بوجه خاص.

الورقة البحثية تحاول أن تتناول "المدخل الحضاري" في العلاقات الدولية من خلال، التساؤل عن أهميته كبديل في هذا الحقل المعرفي؟ وعن الإضافات التي يمكنه الإسهام بها في هذا الحقل من جهة، وعن التعريف بالرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية، توصلا إلى إمكانية طرحها كبديل للعلاقات الدولية، وأنها تشكل المدخل الأساسي لتحقيق "ادخلوا في السلم كافة" .

Abstract

The field of international relations was empirically influenced by materialism which strictly emphasized the importance of material forces and facts as the bases of relations between nations. Values, morals, and religious principles did not matter a great deal. In contrast, the speculative theory (among other analytical, social, and post-modern theories) developed its main principles as a response to the exaggerations of Materialism. The dimension of the speculative theory is based on the premise that the world is inextricably mixed up with the quest of morals and emphasized the need to act ethically in the international arena. The speculative theory was used in the wide range of civilization and social perspectives. Further, it was applied in the analysis and evaluation of theoretically arguments in the field of international relations. This paper sheds light on the civilization perspective of the speculation theory and its link to international relations. The paper also examines the Islamic viewpoint and discusses the possibility of having the Islamic approach as an alternative to the study of international relations.

مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ثم أما بعد: تجاذبت دراسة العلاقات الدولية بعد تأسيسها كعلم مع نهاية الحرب العالمية الثانية، مدارس فكرية غربية، لاسيما الأمريكية منها، فتمحورت بين الفكر التقليدي العقلاني (الواقعي، الليبرالي، والراديكالي)، فشكلت بذلك ما يعرف بـ "منظورات العلاقات الدولية"، وكان أن دخلت هذه المنظورات في مراجعات داخلية على مستوى كل منظور، أو مناقشات وحوارات بين المنظورات، وهو ما يعرف بحوار المنظورات في العلاقات الدولية. وكان لتعدد المنظورات وتعدد النظريات ما يبرره في هذا الحقل المعرفي، إذ سعت مختلف المدارس التي عرفها هذا الحقل إلى محاولة وضع نظرية كلية قادرة على تفسير مجرياته ومعطياته، وهو ما لم تحققه أية نظرية من النظريات، ومع انتهاء الحرب الباردة وفشل النظريات المختلفة في العلاقات الدولية في التنبؤ بهذه النهاية، أتاح ذلك لبروز مداخل جديدة لتفسير الظواهر الدولية، والتي يقوم التحليل والتفسير في كثير منها على الأبعاد القيمية والثقافية والهوياتية والدينية..

أهمية موضوع البحث:

. توضيح الرؤية الإسلامية "للعلاقات الدولية" في عصرنا هذا يصبح ضرورة شرعية، بل وضرورة وجود وحياء لأمتنا التي لا تزال موضع هجوم وابتزاز يستهدف استئصال ثقافتها، والقضاء على نظامها المعرفي¹.
. توجيه النظر على مستوى الداخل (المحلي) إلى أهمية هذا البعد في دراسة العلاقات الدولية من باب ربط حاضر الأمة بماضيها واستشراف مستقبلها من خلال "العلم" كأداة غايتها الحفاظ على هوية الأمة والانتمائها.

¹ . نادية محمود مصطفى ، وعبد الونيس شتا، وسيف عبد الفتاح إسماعيل، وآخرون، العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء الأول: المقدمة العامة للمشروع، ط1 (القاهرة: المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1417 / 1996)، ص 18

. بيان أن دراسة العلاقات الدولية في الإسلام يستند ليس فقط إلى الأبعاد التَّفْهِيمِيَّةِ التشريعية، والتي تشكل قاعدة وأصولاً للعلاقات الدولية في الإسلام، بل إن المتغيرات التي عرفتها العلاقات الدولية في العصر الراهن تدعو المسلمين إلى تجديد رؤاهم في هذا الجانب الذي أضحى أحد أهم المدخلات الكاشفة عن علاقة المسلمين بغيرهم.

إشكالية البحث: هل يستطيع المنظور الحضاري الإسلامي أن يشكل منظورا بديلا في مواجهة منظورات الحقل المعرفي للعلاقات الدولية؟

ما هي أهم مرتكزات هذا المنظور التي تشكل أهم سماته وخصائصه؟
مناهج الدراسة: يعتمد البحث أساسا على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، إذ طبيعة البحث حتمت هذا التوجه، من خلال تتبع تطور الحقل المعرفي للعلاقات الدولية من خلال مختلف منظوراته، وصولا إلى محاولة صياغة منظور حضاري إسلامي لتفسير العلاقات الدولية على مستوى العالم العربي والإسلامي.

أما خطة البحث: فقد اشتملت على مقدمة وثلاثة مباحث
المبحث الأول: مدلول المنظور في العلاقات الدولية .

المبحث الثاني: منظورات العلاقات الدولية، والمنظور الحضاري الإسلامي.

المبحث الثالث: مرتكزات المنظور الحضاري الإسلامي للعلاقات الدولية لتحقيق "ادخلوا في السلم كافة".

المبحث الأول: مدلول "المنظور" في العلاقات الدولية.

إن أول ما تنبغي الإشارة إليه؛ استعمال الكلمة في اللغة الإنجليزية بلفظة "Paradigm" وترجمتها إلى اللغة العربية باستعمال لفظتين وهما "النموذج" و"المنظور"، ولذلك يقع اللبس كثيرا في ترجمة اللفظة إلى العربية، ويزيد من صعوبة إعطاء مدلول "البراديجم" استعمال بعض الباحثين العرب، لمفهوم "النظرية العليا"¹، كتعبير عن "البراديجم"، ويسميه "أبو القاسم حاج حمد" بـ "الناظم المعرفي" وهو ما يطرح عدة أسئلة حول العلاقات بين مضامين هذه المصطلحات، لاسيما في حقل العلاقات الدولية.

المطلب الأول: مدلول المنظور .

أولا . الاستعمال الغربي لمدلول المنظور

يعتبر "توماس كوهن" Thomas Kuhn "أول من أعطى لهذا المفهوم دلالة اصطلاحية تحوله من لفظ لغوي إلى مفهوم علمي، وتخرجه من قاموس اللغة إلى دوائر فلسفة العلم، وتجعله قرين مفهوم العلم والبحث العلمي؛ حتى إنه لا يمكن القيام بأي ممارسة أكاديمية في أي حقل نظري دون إدراك واستيعاب هذا المفهوم الذي حول النظرة للعلم في مجمله من كونه تلقائي التطور تراكميا إلى ربط تطوره بثورات تحدث على مستوى النموذج

¹ . منى أبو الفضل وعبد الخبير عطا محروس ، العلاقات الدولية: البعد الديني والحضاري ، ط1 (دمشق: دار الفكر، 1429 2008)، ص 114

المعربي¹ Paradigm، ومن كونه إنتاجاً لأفراد عباقرة إلى كونه إنتاجاً لمجتمعات علمية ينبغي فهم كيف تدرّب أفرادها وكيف تمت نشئتهم².

ففي كتابه "بنية الثورات العلمية" The Structure of Scientific Revolution، يحاول "كون" أن يربط بين تاريخ العلم وفلسفته من خلال منهجية البحث العلمي، فهو يرى أن تاريخ العلم ليس مجموعة مترابطة من المعارف بقدر ما هو طائفة من الكشوف الثورية التي تقدم ما يسمى "بالنموذج القياسي" Paradigm³، ويعني به: « نسق الارتباط الكلي بين نظريات العلم المختلفة الذي يسير العلماء على هداه ويعملون من خلاله إلى أن تجد كشوف ثورية جديدة تخالف الآراء السائدة في النموذج العلمي المعمول به، فتتغير نظريات العلم المعمول بها في ظل النموذج السائد لتحل مكانها نظريات جديدة من خلال نموذج جديد مخالف للنموذج الذي ألفه فيما مضى»⁴.

يقول طوماس كون: «إن مصطلح "نموذج إرشادي" استخدم في الجزء الأعظم من الكتاب بمعنيين مختلفين؛ فهو من ناحية يعبر عن جماع المعتقدات والقيم المتعارف عليها والتقنيات المشتركة بين أعضاء مجتمع بذاته، ويشير من ناحية أخرى إلى عنصر منفصل في هذا المركب الجامع وأعني به الحلول الواقعية للألغاز، التي إذا ما استخدمت كنماذج أو أمثلة يمكن أن تحل محل القواعد الصريحة كأساس لحل الألغاز المتبقية في نطاق العلم القياسي، والمعنى الأول للمصطلح، ولنسمه المعنى السوسولوجي...»⁵.

تقوم فلسفة "كون"، على ضرورة التمييز في مسار العلم أو تقدمه بين مراحل العلم العادي الذي يسير في إطار "النموذج القياسي الإرشادي" السائد (البراداييم Paradigm)، وبين المراحل الانتقالية في إطار تقدم العلم من نموذج إرشادي إلى آخر: الثورة، يعتبر النموذج القياسي الإرشادي بمثابة النظرية العامة التي يلتزم بها المجتمع العلمي في مرحلة معينة، أما بلوغ هذه النظرية العامة منزلة "النموذج الإرشادي أو البراداييم"، فيعني أنها أفضل من كل منافساتها، أي أنها الأقدر على الصمود إذ توجب التسليم بها، مع ما يتبع ذلك من التسليم بكل مسلماتها ومناهجها ومفاهيمها العلمية وأبعادها الماورائية Metatheory، والمضامين التي ينطوي عليها ذلك على صعيد المجتمع العلمي تتمثل في أن النموذج القياسي المهيمن يؤثر في:

1. تحديد المشكلات التي يجب دراستها وأنماط الحلول المطلوبة.

1 . نلاحظ استعمال نصر عارف لعبارة "النموذج المعربي" في ترجمته لـ "البراداييم"، واستعمال عبارة "المنظور" لذات المفهوم أي: "البراداييم".
2 . نصر محمد عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة، النموذج المعربي . النظرية . المنهج ، ط1 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1422 هـ / 2002 م)، ص 57
3 . طوماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992)، (77، 131)
4 . محمد أحمد المفتي، المنهجية السياسية الغربية: تحليل نقدي، مجلة العلوم الاجتماعية، (جامعة الكويت، المجلد الخامس عشر- العدد الثاني، صيف 1987)، ص 68
5 . طوماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992)، ص 221 . 222

2. تحديد معايير الاختبار والتقييم وشروط التنقيح والتعديل إن لزم الأمر.

التأثيرات العلمية التفصيلية الناجمة عن تبني "براداييم" معين تتجلى في الخطوات التالية، ف"البراداييم" يحدد:

1. ما الذي يجب ملاحظته؟

2. ما هي الأسئلة التي يتعين طرحها.

3. كيف يستمر البحث في هذه التساؤلات، أي ما هي الأدوات التحليلية التي يجب الاعتماد عليها.

4. كيف يمكن قراءة وتأويل النتائج المتحصل عليها من خلال البحث¹.

وقد حدد توماس كون " Thomas Kohn " بنية النموذج المعرفي بخمسة عناصر أساسية²:

1. العنصر المفاهيمي.

2. العنصر النظري.

3. قواعد التفسير.

4. عنصر تحديد الإشكالات والمعضلات الأجدر بالحث.

5. عنصر التحكم التكويني الذي يحدد العناصر السابقة..

ثانيا . المنظور في الاستعمال العربي له،

يعرف عارف نصر حامد النموذج المعرفي "Paradigm" بقوله: « ويقصد به قواعد ووسائل وتكتيكات حلول المشكلات التي تواجه الباحثين في المعامل أو المختبرات، وطرق التعامل مع مصادر المعرفة، مثل اشتراكهم معا في قراءة دوريات وحضور مؤتمرات، أو في نمط تدريبهم الأكاديمي، وخبراتهم المشتركة، واشتراكهم أيضا في مهارات واحدة³. أي؛ أن ما يقصده كون بالنموذج المعرفي في هذا السياق هو ما يمكن أن يطلق عليه "سر المهنة" أو "روح الصنعة"، ومن ثم فعادة ما تكون هناك حدود بين المجتمعات العلمية والمدارس المختلفة، تضيق وتتسع طبقا لمستويات معينة، ومن المعروف أن هناك مدارس متنافسة في كل علم من العلوم، ولكنها تشترك جميعها في نموذج معرفي واحد. كذلك هناك المجتمع العالمي للعلوم الطبيعية، ومن داخله مجتمعات لعلوم الفيزياء والكيمياء، وداخل كل منها مدارس متعددة⁴.

أما عبد الوهاب المسيري فيعرف النموذج المعرفي بأنه: «هو صورة عقلية للعالم تشكل ما يمكن تسميته "خريطة معرفية"، ينظر الإنسان من خلالها للواقع، والنموذج لا يوجد جاهزا في الواقع، فهو نتيجة عملية تجريد

1 . عادل زقاع، النقاش الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية، ص 24

2 . ينظر توضيح هذه العناصر الخمس: نصر محمد عارف، ابستمولوجيا السياسة المقارنة، ص 64 . 65، وعبد العزيز بو الشعير، النظام المعرفي في

الفكرين الإسلامي والغربي، ط1(بيروت: منتدى المعارف، 2014).ص 109

3 . نصر عارف ابستمولوجيا السياسة المقارنة، النموذج المعرفي . النظرية . المنهج، ص 60

4 . المرجع نفسه.

عقلية مركبة (تفكيك وتركيب)، إذ يقوم العقل بجمع بعض السمات من الواقع قيستبعد بعضها ويبقي البعض الآخر، ثم يقوم بترتيبها بحسب أهميتها ويركبها، بل أحيانا يضحّمها بطريقة تجعل العلاقات تشكل ما يتصوره العلاقات الجوهرية في الواقع؟.

وتسمى هذه النماذج "نماذج إدراكية"، لأن الإنسان يدرك الواقع من خلالها، وتسمى أيضا "نماذج معرفية"، أي أنها عادة ما تحتوي على بعد معرفي (كلي ونهائي)، والنماذج أو (الخرائط) الإدراكية والمعرفية تولد إدراكا مختلفا من شخص لآخر ومن حضارة لأخرى لنفس الظاهرة¹.

المطلب الثاني: التعريف بالحقل المعرفي للعلاقات الدولية.

يصنف علم العلاقات الدولية . بحكم مادته . مع علوم السياسة التي تنتمي إلى العلوم الاجتماعية، وعلم العلاقات الدولية يصنف مع العلوم السياسية بالذات نتيجة لمشاركته إياها نفس المفهوم الأساس (Basic /concept /Concept de base) الذي تدور حوله دراسة هذه العلوم قاطبة، والذي هو "السلطة/القوة"، على تباين في الأبعاد تفرضه طبيعة المجال الذي يعمل فيه علم السياسة (المجتمع الوطني . الداخلي)، وطبيعة المجال الذي يعمل فيه علم العلاقات الدولية (المجتمع الدولي)، وذلك فضلا عن أن المشاركة في مفهوم الأساس تقرب بين منهج كل من العلمين: علم السياسة وعلم العلاقات الدولية².

تحتل إشكالية التعريف بالنسبة للعلاقات الدولية مقدمة الإشكاليات التي يواجهها الباحث في هذا الحقل، وعلى الرغم من المحاولات المتعددة التي بذلت منذ القديم، إلا أنه يصعب الإجماع على تعريف جامع مانع لها. فقد تبين من خبرة الماضي ومن تجربة الواقع المعاش أن "العلاقات الدولية" قد بلغت من التعقيد حدا يمكن معه أن تتعدد طرائق دراستها وفهمها، وفي الوقت نفسه، فقد أدت المحاولات التي بذلت للتخفيف من حدة هذا التعقيد عن طريق تبسيط المدركات، إلى تعريفات متعددة ومختلف عليها³.

ومن جانب آخر، هناك فجوة بين معنى المصطلح الشائع في الغرب وهو International Relations، وترجمته الحرفية "العلاقات الأومية"، وبين الترجمة العربية الشائعة لهذا المصطلح وهي العلاقات الدولية، وفي الوقت نفسه توجد مصطلحات أخرى تستخدم كمرادفات للدلالة على نفس الموضوع رغم ما بينها من اختلافات مثل: " International Affairs, International Politics, Foreign Affairs, World Politics " ، وغيرها⁴ ، إذ وقع اضطراب واختلاف في الأوساط العلمية حول مسألة التطابق بين مصطلح العلاقات الدولية والظاهرة التي يرمز إليها، فهناك من الكتاب من يطلق هذا المصطلح على العلاقات بين

¹ . عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، (دار الهلال، 2001)، ص 15

² . مجّد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، (بيروت: دار النهضة، 1978)، ص 17 . 18

³ . أنور مجّد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، ط1 (السليمانية (العراق): مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2007)، ص 44، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ص 19 .

⁴ . أنور مجّد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، ص 44

كل الوحدات السياسية المستقلة التي عرفها التاريخ، وحتى ما قبل التاريخ إلى اليوم، ومن هؤلاء "هولستي K.J.Holsti"؛ إذ لا يتردد في اعتبار أن العلاقات الدولية تنشأ داخل كل مجموعة من كيانات سياسية (قبائل، دول، مدن، أمم، إمبراطوريات)، تربط بينها تفاعلات تتميز بقدر من التوتر ووفق نوع من الانتظام. هناك من يرفض أن يعطي هذا المدلول الواسع لمصطلح العلاقات الدولية، ويلح على أن يحد هذا المصطلح في معناه الضيق، أي العلاقات بين الدول القومية كما نشأت في أوروبا عصر النهضة؛ أي بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ثم انتشارها بعد ذلك في جميع أنحاء العالم، خصوصاً بعد 1945، ومن هؤلاء "هيدلي بول H.Bull" وهو يقترح اسماً آخر للتعبير عن مجموع العلاقات بين كل الوحدات المستقلة التي عرفها التاريخ، بما فيها الدول الحديثة، وهذا الاسم هو "العلاقات بين القوى التي لا تشكل "العلاقات الدولية" إلا حالة تاريخية فيها¹. حيث ركز المفكرون الغربيون في الفترة الممتدة من 1648 (نشأة الدولة القومية) إلى 1914 (الحرب العالمية الأولى) على جملة من القضايا التي تعكس الأوضاع السائدة في أوروبا، حيث ركز الفكر السياسي تقريباً على الدولة القومية ذات السيادة من حيث أصولها ووظائفها والقيود المفروضة على السلطة الحكومية، وتقرير المصير القومي والاستقلال².

يرى "كريس براون" أن مصطلح العلاقات الدولية لم يستخدم إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، وأن الدراسة الأكاديمية للعلاقات الدولية لم تكوّن موجودة قبل الحرب العالمية الأولى، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين بدأت العلوم الاجتماعية تتمايز، وحين انبثق علم الاقتصاد من الاقتصاد السياسي، كميدان علمي مزعوم للدراسة، وحين أصبح ينظر إلى علم السياسة والنظرية الاجتماعية بوصفهما يتصدیان لأحداث مختلفة، إذ بقيت العلاقات الدولية غير محددة الهوية كمحور مستقل للدراسة، وبدلاً من ذلك، فإن ما نعتبره اليوم علاقات دولية كان يعتبر مجرد عدد من الفروع الأخرى للمعرفة: التاريخ والقانون الدولي وعلم الاقتصاد والنظرية السياسية، لكن هذا الفرع لم يظهر إلا بعد أن أفتتحت مجزرة 1914 . 1918 عدداً من المفكرين ومحبي الخير من ذوي النفوذ أن الحاجة تدعو إلى طرق جديدة للتفكير بهذه المشاكل، فقد رأوا أنه من الأمور الأساسية تنظيم العلاقات الدولية، وقد اتخذ التقدم الذي أحرزته نظرية العلاقات الدولية نمطاً واضحاً منذ 1919 ، وكان وجود نظرية تسيطر على الميدان من الأمور الدائمة تقريباً في أي وقت من الأوقات³.

المطلب الثالث: المنظور في الحقل المعرفي للعلاقات الدولية.

على الرغم من أن ما قدمه توماس كوهن حول النموذج المعرفي انصب في معظمه على تطور العلوم الطبيعية، إلا أن هناك ما يشبه الإجماع على أهمية استخدامه كمدخل لدراسة نظريات العلوم الاجتماعية، وقد

¹ . المرجع السابق، ص 24

² . نادية مصطفى ، العلاقات الدولية في الإسلام/ الجزء الأول: المقدمة العامة للمشروع، (مرجع سابق)، ص 82 . 83

³ . براون، كريس، فهم العلاقات الدولية، ترجمة: مركز الخليج للنشر، ط1، (دبي (الإمارات العربية المتحدة): مركز الخليج للنشر، 2004)

أجريت أكثر من دراسة في علم السياسة بصفة عامة حول تطبيق مدخل النموذج المعرفي في تحليل تطور علم السياسة بصفة عامة، وتطور حقل السياسة المقارنة بصفة خاصة.

يرى المؤيدون لإمكانية استخدام النموذج المعرفي في حقل علم السياسة بأن الغرض من اللجوء إلى مصطلح النموذج المعرفي هو: « إدخال بعض التنظيم على الحقل النظري للعلاقات الدولية »، بحيث يرى ميكائيل نيكلسون Mechael Nicholson: « إنه في الآونة الأخيرة أصبحت عرفا بين دوائر محدودة من الباحثين في مجال العلاقات الدولية الإشارة إلى الحوار ما بين النماذج Inter _Paradigm Debate ويتم بموجبه التعامل مع المداخل المختلفة في دراسة العلاقات الدولية كأنها نماذج معرفية مختلفة»¹.

هناك عدد من الباحثين الذين طبقوا مفهوم النموذج المعرفي على مجالات علم السياسة والعلاقات الدولية، إلى درجة يذهب البعض منهم إلى وجود أكثر من نموذج معرفي واحد بما يعكس حالة العلم في مرحلة ما بعد الحداثة Postmodern Science ، ومن أبرزهم ميكائيل بانكس Michael Banks الذي يرى بأنه هناك ثلاثة نماذج تحاول أن تدرس العلاقات الدولية بطرق مختلفة، وهي: النموذج الواقعي، والنموذج التعددي، والنموذج البنيوي، ويناقش "جون فاسكويز John Vasques مفهوم النموذج المعرفي في دراسته " The Power of Power Politics"، وكذلك استخدمه تشارلس رينولدز Reynolds Charles، في دراسته " Mode of Imperialism"، والملاحظة المشتركة على هذه الدراسات هي أنها لا تستخدم المفهوم بالدقة الواردة عند "كون"، بل يستخدمون المفهوم بطريقة تناسب مع علم السياسة والعلاقات الدولية².

ففي حقل العلاقات الدولية، يشير مفهوم / مصطلح "المنظور" إلى: « إطار معرفي يستخدمه منظرو العلاقات الدولية لتحديد رؤيتهم للعالم World View، وما ينبغي أن يكون عليه ويدل إذا ما كانت نماذج التحليل التطبيقي متوافقة مع تلك الرؤية الكونية الشاملة أم لا، أما تلك الرؤية الكونية . فهي غالبا . حقيقة غائبة يكون عنها العلماء مجرد افتراضات واعتقادات ذات طابع تخميني حدسي»³.

أما عطا محروس، فيعبر عن " Paradigm" ب "النظرية العليا"، حيث يقول: « تمثل النظرية العليا (Paradigm) المنظور الذي تعالج من خلاله العلاقات الدولية، والمنظور هو إطار معرفي يستخدمه منظري العلاقات الدولية لتحديد رؤيتهم للعالم World View وما ينبغي أن يكون عليه، ويدل إذا ما كانت نماذج التحليل التطبيقي متوافقة مع تلك الرؤية الكونية الشاملة أم لا، أما تلك الرؤية الكونية، فهي غالبا . حقيقة غائبة يكون عنها العلماء مجرد افتراضات واعتقادات ذات طابع تخميني حدسي»⁴.

1 . أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، ص 136

2 . المرجع نفسه، ص 135

3 . منى أبو الفضل وعبد الخبير عطا محروس، العلاقات الدولية: البعد الديني والحضاري، ص 114

4 . المرجع نفسه، ص 114

ترى نادية محمود مصطفى أن النموذج المعرفي يعبر عن رؤية سائدة في مرحلة ما عن طبيعة الظاهرة الدولية كما يدركها وكما يصفها معظم المنظرين في كل مرحلة من مراحل تطور العلاقات الدولية، ويشير إلى وجود نوع من الاتفاق حول سمات الظاهرة الدولية وأبعادها الأساسية، ويستخدم في العلاقات الدولية استنادا إلى معيارين: أحدهما موضوعي ومحوره الافتراضات الأساسية حول الطريقة التي يتشكل بها العالم، والآخر منهجي ومحوره أساليب إدارة البحث والتحليل

وبناء على ذلك، فإن تاريخ الدراسة النظرية للعلاقات الدولية يمتلك أكثر من نموذج معرفي واحد عبر مسيرة تقارب خمس وسبعين عاما، وتعاقبت على دراسة العلاقات الدولية عدة نماذج ساد كل منها في مرحلة من مراحل تطورها، وتبلورت الاختلافات بين هذه النماذج المتعاقبة في ثلاثة أنواع من الجدال: أولها . الجدال بين المثالية والواقعية.

ثانيهما كان جدال التقليدية والسلوكية .

الثالث: الجدال بين الواقعية وما بعد الواقعية¹.

المبحث الثاني: منظورات العلاقات الدولية، والمنظور الحضاري الإسلامي.

تتبارى الاتجاهات الكبرى في العلاقات الدولية جول التوصل إلى وضع نظرية عليا لتحليل السياسات العالمية، ويحاول كل من هذه الاتجاهات أن يرسى ركيزة فلسفية كبرى تستند إلى سلسلة من النظريات الوسطى والصغرى ومجموعة من الافتراضات التي يمكن أن يجلب عنها من خلال مقولة النظرية العليا²

المطلب الأول: المراحل التي مر بها علم العلاقات الدولية بعد تأسيسه في أعقاب الحرب العالمية

الأولى، ونشأة ما يسمى بـ "منظورات العلاقات الدولية"

المرحلة الأولى: المرحلة المثالية: استمد المثاليون بناءهم الفكري من عدة روافد تمثلت في آمال عصر النهضة والتنوير وليبرالية القرن التاسع عشر، ومثالية "ولسن" في القرن العشرين، فقد ركزوا على تناول ما يجب أن يكون عليه سلوك الدول في علاقاتها الدولية أكثر من تركيزهم على السلوك الفعلي للدول، فركزوا على الحقوق والالتزامات الدولية القانونية، إلا أن قواعد القانون الدولي التي نادوا بها كانت بالأساس انعكاسا لقواعد السلوك الغربية التي اتفقت عليها الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر، ومن ثم؛ فإن هذا القانون يعكس قيم ومصالح المجتمعات غير الأوروبية، أي أنها كانت مثالية تحكمها قواعد محددة بمصالح نطاق محدد من العالم.

المرحلة الثانية: الواقعية. برزت خلال أربعينيات القرن العشرين، وشهدت تحولا في دراسة علم العلاقات

الدولية، حيث تحول من علم القيم والأخلاقيات إلى علم دراسة القوة والمصلحة، حيث ركزت المدرسة الواقعية على

¹ . نادية محمود مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد، مجلة السياسة الدولية ، (العدد 82، أكتوبر

1985)، ص 45

² . محمد وقيع الله، مدخل دراسة العلاقات السياسية الدولية، مجلة إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة الرابعة العدد الرابع عشر)،

ص73

(الدولة القومية) بوصفها وحدة التحليل، وعلى التاريخ مصدرا لتأكيد مقولاتها المحافظة التي تشكك في المثل المجردة.

وأوضح أنصار هذه المدرسة أنه لا يوجد انسجام أو توافق جوهري في المصالح بين الدول، بل توجد بينهم أهداف قومية متضاربة ومتصارعة قد تؤدي إلى الحرب، وأن الذي يحدد نتائج هذه الصراعات هو إمكانية الدول - وتحديدًا الإمكانيات العسكرية بصفة أساسية، وقدرة كل منها على التأثير في سلوك الدول الأخرى، بجانب العناصر الأخرى للقوة القومية، مثل: السكان، والموارد الطبيعية، والعوامل الجغرافية، وشكل الحكومة، والقيادة السياسية، والتكنولوجيا، والأيدولوجيا.

المرحلة الثالثة السلوكية: تزايد خلالها الاهتمام بالمنهج والقواعد التي يجب أن تحكم السياسية، وكذلك تزايد الاهتمام بدراسة الفرد والسلوك المعلن، وتحديد المتغيرات المتعلقة بالصراع والتعاون الدولي.

فتحت الانتقادات الموجهة للتيار العقلاني، والذي صبغت مراحلها السابقة "الفصل بين البعد القيمي والبعد الواقعي" في دراسة العلاقات الدولية، الطريق أمام تناول هذا البعد القيمي في مرحلة "ما بعد السلوكية".

المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد السلوكية: قامت هذه المرحلة على قبول إمكانية تعدد التوجهات النظرية في دراسة العلاقات الدولية، واهتمامها بالقيم إلى جانب السلوك، حيث يرى روادها (مثل: Joseph Lapid) أن العلم الاجتماعي الغربي، وعلم الإمبريقية/الوضعية التي يستند إليها Empirical /Posivitisist، يتطلب إعادة النظر في مصطلحات أساسية، مثل: الحقيقة Ttuth، والعقلانية Rationality، والموضوعية Objectivity، والإجماع Consensus، أي أنه يمر بمرحلة إعادة النظر فيما وراء الاقتراب (Approach) أو الخلفية الفلسفية Meta _ Theory، وهناك دعوة إلى إعادة بناء العلم من جديد Systematic Reconstruction، على أن تراعى في عملية البناء الأبعاد الثقافية والحضارية¹.

المرحلة الخامسة: مرحلة ما بعد الحرب الباردة:

فمع تدشين النظام الدولي الجديد، صحب ذلك تغير جذري في بنية العلاقات الدولية ومختلف المبادئ التي تأسست عليها، لاسيما مع فشل أكبر المنظورات في التنبؤ لنهاية هذه الحرب، قد أسهم في ذلك عدة متغيرات سواء على مستوى التغيرات الجيوسياسية والجيواستراتيجية، أو حتى الجيواقتصادية، وكل ذلك انعكس بدوره على التنظير لهذه الفترة.

المطلب الثاني: حوار المنظورات في العلاقات الدولية .

يرى الباحث عادل زقاع؛ أن استخدام مصطلح النقاشات النظرية (الحوارات، الجدالات) في توصيف الحقل يعتبر في حد ذاته شيئًا جديدًا، وأولى الدراسات التي نشرت في هذا المجال كانت دراسة "ري مانفورور" Ray "Manghroor" و"رامبير بينيت" "Ramberg Bennet" (1982) "العالمية مقابل الواقعية": النقاش

¹ . عبد الخبير محمود عطا محروس، البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية (دراسة في تطور الحقل)، ضمن: العلاقات الدولية: البعد الديني والحضاري، (مرجع سابق)، ص 90 . 92

النظري الثالث في العلاقات الدولية". ورغم تعرضهما لمصطلح النقاش النظري في حد ذاته، إلا أن المفهوم اكتسب لديهما نوعاً من الضبابية، فالنقاش الثالث أطلق على جزء مما تضمنته هذه المرحلة من التطور داخل الحقل¹.

ويشير كريس براون إلى أنه كانت تظهر في فترات دورية منتظمة تحديات لهذه النظرية المسيطرة، وأصبحت هذه التحديات تعرف باسم "المناظرات الشهيرة"، ولقد وجدت منذ 1919 ثلاث مناظرات شهيرة:

1. المناظرة حول الطوباوية (Utopianism) والواقعية (Realism) في أواخر ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين.

2. المناظرة حول الأسلوب (Method) والجوهر (Substance) في ستينيات وأوائل سبعينيات القرن العشرين.

3. المناظرة الثالثة حول الوضعية (Positivism) ونقادها في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين²، حيث يأتي هذا الجدل [الحوار] بشأن الوضعية الإمبريقية في إطار مراجعة فلسفية تتم في كل العلوم الاجتماعية، ويركز الجدل الدائر في هذه المرحلة على ثلاثة محاور مترابطة:

أ. الاهتمام بالوحدات والأسس الكامنة خلف العلم Meta Scientific Units، الإطار المرجعي Paradigmatic

ب. الاهتمام بالافتراضات والمسلمات Perspectivism.

ج. الاتجاه نحو التعددية المنهاجية، وبالتالي النسبية Methodological Pluralism (relativism).

إن دراسة العلاقات الدولية في جدها الثالث جعل ما بعد الوضعية تواجه إمكانات واسعة بقدر ما تواجه من تحديات، لكن هذه المرحلة - بلا شك - تسمح بكثير من العمل الخلاق، وبالتالي، فإن مشروع العلاقات الدولية في الإسلام له مجال في ظل التحولات التي يشهدها علم العلاقات الدولية في الغرب³، وقد ساعد ذلك، ويمكن من بلورة "المنظور الحضاري لدراسة العلاقات الدولية" في الإسلام، بتقديمه كأحد المنظورات القائمة بذاتها في مقابل المنظور الغربي في العلاقات الدولية، وبات يطرح لدى بعض المفكرين المسلمين كمنظور بديل في هذا الحقل المعرفي.

المطلب الثالث: المدخل الإسلامي في العلاقات الدولية والتأسيس "للمنظور الحضاري الإسلامي".

بعد استقلال علم العلاقات الدولية في أعقاب الحرب العالمية الأولى شهدت دراسة هذا العلم عدة مراحل لم تتعرض لمساهمة المنظور الإسلامي في دراسة العلاقات الدولية، ويأتي بحث العلاقات الدولية في الإسلام في

¹ . عادل وقاع، النقاش الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية، تخصص:

العلاقات الدولية، إشراف: صالح زياتي، (جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية، 2008-2009م)، ص 11

² . كريس براون، فهم العلاقات الدولية، ترجمة: مركز الخليج للنشر، ط1، (دبي (الإمارات العربية المتحدة): مركز الخليج للنشر، 2004)، ص 23

³ . نادية محمود مصطفى وآخرون، العلاقات الدولية في الإسلام: المقدمة العامة للمشروع، ص 86

المرحلة الرابعة من مراحل تطور دراسة العلاقات الدولية "مرحلة ما بعد السلوكية"، وهو يتفق مع بعض المسلمات هذه المرحلة من حيث قبولها لإمكانية تعدد التوجهات النظرية في دراسة العلاقات الدولية واهتمامها بالقيم إلى جانب السلوك في تحليلها لمثل هذه العلاقات¹.

وتشير الدكتورة منى أبو الفضل إلى أن مصطلح "المنظور الحضاري" « لم يكن موجودا في المصدر الذي نستقي عنه . نحن الباحثين في المنطقة العربية . علومنا، لقد كانت دراسة النظم العربية تقع بين حقلين؛ حقل دراسات المناطق Middle East Studies وعلم السياسة Political Science، وفيما كان علم السياسة الأمريكي علما قصير الذاكرة ليس له علاقة بمنظور له عمق زمني، كان علم السياسة الأوروبي يرتبط بخبرة حضارية مختلفة تماما»².

إن المنظور الحضاري يشكل "براديم [Paradigm] تتولد ضمنه المناهج، إذ يمكن من داخله توظيف مناهج قائمة واستنباط أخرى جديدة دون القيام بعملية أم تكييف ترقية مع الخارج. ومفهوم البراديم أو ما يسمى برؤية العالم World View يشير إلى مجموعة من الأسئلة الكلية النهائية من قبيل: ما هو العالم؟ ماهية الإنسان؟ ما هي الحياة؟ أسئلة تنتظم منظمو من عدة عناصر:

الأنطولوجي (ماهية الوجود)، الإبيستمولوجي (أصول المعرفة، والمعرفة الصحيحة وغير الصحيحة)، الإكسيولوجي (معايير القيم التي على أساسها تؤسس الأحكام بالصلاح والفساد)، إكسيولوجي (قضية الزمان، والحياة وما وراءها، والغيب والشهادة)³

كما تفرق منى أبو الفضل بين المنظور الحضاري والمنظور الإسلامي، وتوضح بقولها: « بالأحرى لا يعني أنه صالح للتطبيق فقط على ظواهر أو مجتمعات إسلامية، لقد استقي بالفعل من المصادر المعرفية والحضارية الإسلامية، تلك المصادر التي كانت غائبة عن التفعيل في المجال العلمي الحيوي، لكنه تجاوز مرحلة بداياته الأولى عندما ولد ليعالج أزمة النظم العربية، ليصبح في ذاته بديلا في التعامل مع الأزمة العالمية الراهنة في الأكاديميا، بمعنى أنه يقدم إمكانيات . يستنبطها في المنظومة المعرفية التي يحملها . لعلاج الأزمة المتمثلة في التداخيات الفكرية والواقعية العالمية لتطبيق المنظور الحدائبي/العلماني الذي يتخذ من الإنسان والطبيعة محورا ومرجعية له Anthropocentric ويحلله . أي الإنسان . إلى عناصره الطبيعية المادية الجنسية بالأساس »⁴.

والمنظومة المعرفية المشار إليها هنا هي ما يطلق عليه: النسق المعرفي التوحيدي Tawhidi epsteme ، وهو نسق يتميز بقيمه . من حيث المنطلق . عن إطار مرجعي عاقد هو التوحيد، وبانفتاحه من حيث الوجهة

1 . نادية محمود مصطفى وآخرون، العلاقات الدولية في الإسلام: المقدمة العامة للمشروع، (مرجع سابق)، ص 86

2 . نادية محمود مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، دورة المنهجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية، حقل العلوم السياسية نموذجاً، بتاريخ: 29

7/ 2000 /8/2 (القاهرة : المعهد العلمي للفكر الإسلامي ومركز الحضارات للدراسات السياسية)، ص 112

3 . المرجع نفسه، ص 112

4 . المرجع نفسه، ص 113

والمسار: انفتاحا رأسيا على عالم الغيب والشهادة، إذ تأخذ مصادره المعرفية بالوحي والوجود في آن، وكان انفتاحا أفقيا على "الآخر" بمعنى أنه نسق يتجاوز الخصوصية الذاتية ليأخذ بسنة التفاعل والتحاور .

والمنظور الحضاري استنادا إلى هذا النسق، يقوم على "التوحيد" كنسق أنطولوجي معرفي قيمي، وليس كاتتماء "ديني" بما يعني إمكانيات توظيفه في قراءة التاريخ الإنساني، وعبر المجتمعات والثقافات المتباينة. من ناحية أخرى، ينبغي التأكيد على أن منهجية أو أي منظور قد لا يكفي وحده للإيفاء بحاجة موقع، فالمنظور الحضاري المتولد عن كل من البيئة الإسلامية والقرآن كمصدر معرفي، قادر على أن يوظف في معالجة ودراسة ظواهر عديدة، ويمكنه بهذا الصدد أن "يتكامل" ¹ مع غيره ².

ثانيا . وعن موضع الحضاري في منظومة العلاقات الدولية ، ترى ريهام باهي أن هناك اتجاهات عديدة للحدوث عن التحليل الحضاري، منها ما يركز على الحضارة باعتبارها فاعل سياسي له خصائص معينة تؤثر في سلوكها، واتجاه يركز على دراسة خصائص كل حضارة بشكل منفصل ثابت يركز على الصراع، واتجاه آخر يركز على الحضارة باعتبارها تفاعلات جماعية للحفاظ على الحدود الاجتماعية أو تغييرها، وهناك اتجاه ديناميكي لفهم الحضارة من خلال التركيز على فواعلها الداخلية وما يدور بينها من جدالات وحوارات ³.

ثالثا . أما أماني صالح، فعرفت المنظور الحضاري بأنه: « رؤية للاقتراب من المشكلة البحثية يركز على خصوصيتها الثقافية، مع مراعاة البيئة الثقافية والمكانية والزمانية التي تتم فيها دراسة الظاهرة، وتشكل هذه الخصوصية نتيجة مجموعة من العوامل المتعددة والخبرات الحضارية، وهذه الخصوصية لا تنفي وجود المشترك الإنساني، وهذا الأخير لا يعني عدم وجود تنوع ، ويقوم المنظور الحضاري بعدة وظائف - كغيره من المنظورات - وهي التفسير والتحليل والتنبؤ».

رابعا . أوردت نادية محمود مصطفى ملاحظات أولية حول مفهوم المنظور الحضاري في الرؤية الإسلامية، وتمثل هذه الملاحظات في:

- 1 . لا يمكن الحديث عن المنظور الحضاري ودراسته في العلوم السياسية بمعزل عن العلوم الاجتماعية.
- 2 . أهمية التمييز بين المنظورات الحضارية المختلفة، والتمييز بين مفهوم "الحضاري" والمنظور الحضاري.
- 3 . تعدد مصادر المنظور الحضاري.
- 4 . المنظور الحضاري هو منظور مقارنة بين حضارات متعددة، وليس قاصرا على المنظور الإسلامي

¹ . بدأ المنظور الحضاري باسم "المنظور التنموي التكاملي"، فضلا عن أن الدراسات التنموية في التعامل مع النظم كانت هي أنسب ما يمثل قاعدة الانطلاق الأساسية التي يمكن للطلاب أن يستندوا عليها في وقت كان المنظور فيه قيد التشكل في قاعات الدرس ذاتها، فإن مفهوم التكامل كان ينطلق من وعي بوجود شيء مفقود وواقع مأزوم يتطلب نوعا من التكامل لتجاوزه

² . نادية مصطفى وسيف عبد الفتاح ، دورة المنهجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية، حفل العلوم السياسية نموذجاً ، ص 114

³ . حلقة نقاشية حول مفهوم الحضاري ومعالم منظور جديد في العلوم السياسية والاجتماعية، بتاريخ 24 . 25 أكتوبر 2010 : الرابط

5. التمييز بين الديني والثقافي ، وعلاقة كل منهما بالسياسي ونمط تلك العلاقة، وما تتضمنه من تأثير متبادل.

المطلب الثالث: الجهود العلمية في بناء منظور حضاري في العلاقات الدولية.

عبر سنوات متعاقبة، بذلت جهود علمية محاولة لإرساء دعائم "مدخل حضاري إسلامي" في معالجة قضايا العلوم الاجتماعية، ومنها علم السياسة والعلاقات الدولية، نسجل هذه المحطات من خلال جهود ثلة من الباحثين والأكاديميين على مستوى دراسة علم السياسة والعلاقات الدولية، وذلك على النحو الآتي:

أولا . جهود حامد ربيع: فعبر سبعينيات وحتى أوائل الثمانينيات من القرن العشرين بلور فكر الدكتور حامد ربيع . رحمه الله . أجندة من قضايا الأمة الإسلامية محل الاهتمام، كما تساءل عن إمكانية التنظير من مرجعية إسلامية، وهذه الأجندة والمنهجية التي أسس لها حامد ربيع يمكن أن تندرج تحت عنوان واحد؛ ألا وهو "المدخل الحضارية القيمة لدراسة الظاهرة السياسية الإسلامية واقعا وتنظيرا"، حيث كان حامد ربيع الرائد الأول في هذا المجال على مستوى كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة¹.

لقد مثل حامد ربيع نقطة انطلاق نوعية في كلية الاقتصاد، تأسست في السبعينيات مع تدريسه مقررات الفكر السياسي الإسلامي والنظرية السياسية في الإسلام وغيرها من المقررات التي انطلقت من مداخل حضارية، مراعية المقتضيات المنهجية، وساعية لتفعيل الدور الكفاحي لعالم السياسة، كما قاد حامد ربيع عملية الإشراف على رسائل ماجستير ودكتوراه في موضوعات ذات أبعاد إسلامية، وبذا تولدت منه وحوله مدرسة تضم الآن الأساتذة الذين يهتمون بالتأصيل والتنظير لعلم السياسة من منظور حضاري إسلامي.

وإنما يتأسس بناء منظور حضاري إسلامي في علم السياسة والعلاقات الدولية من منطلق أن الفارق الجوهرى بين الحضارة الإسلامية وأي حضارة أخرى، هي أن تاريخها لم ينقطع وأن التطورات المتعاقبة رغم تميزها وانفرادها لم تمنع من أن خط التراكبات المتتابعة ومن المنطلق الحضاري القومي الذاتي ظل دائما ثابتا لم تصادفه القطيعة حتى اليوم، وهكذا تصير الوظيفة السياسية لعملية إحياء التراث في نطاق الخبرة الإسلامية تعبيرا واضحا عن طبيعة تلك الخبرة، بل تكاد تكون النتيجة المنطقية الثابتة واللازمة لحقيقة ذلك التراث²

ثانيا . جهود منى أبو الفضل: تبرز جهود الدكتورة منى أبو الفضل في طرحها لفكرة "الأمة كمستوى للتحليل، من خلال كتابها "الأمة القطب" ، وهو مفهوم محوري في التأصيل الإسلامي، كما قدمت مراجعات

¹ . نادية مصطفى، منهاجية إسلامية المعرفة من المنظور والتأصيل إلى خبرة التطبيقات، ضمن: مدحت ماهر وماجدة إبراهيم، مشروع تقوم إسلامية المعرفة بعد ربع قرن، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2008)، ص 139

² . شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، سلوك الملك في تدبير الممالك، تحقيق: وتعليق وترجمة: حامد عبد الله ربيع ، (القاهرة: مطابع دار الشعب، 1400هـ/ 1980)، ص 22

وتأصيلات معرفية ونظرية لأنماط التفاعل بين الغرب والشرق ودراسات المرأة العربية من منظور حضاري مقارنة، ناهيك بالطبع عن تأصيلها في "النماذج المعرفية المقابلة" الذي تنطلق منه دراسات "المنظورات الحضارية المتقابلة"¹. تقول منى أبو الفضل: لقد بدأ التفكير في المنظور الحضاري انطلاقاً من إيمان وقيم بأن هناك مصادر معرفية خبراتية ثرية مخزونة في تراثنا وغير موظفة؛ مصادر ارتبطت بالحضارة الإسلامية إبان سيادتها كحضارة رائدة وبعقل إسلامي منتج، مصادر يشكل غيابها خلافاً سواء في دراسة وفهم الواقع أو محاولات تطويره². وتؤكد منى أبو الفضل على أن مفهوم واصطلاح المنظور الحضاري لم يأت كرد فعل لأفكار قائمة، بل جاء على خلفية الوعي بأن هناك أبعاداً وإمكانات غائبة يمكن إدخالها إلى مجال الأكاديميا لتعالج أزمات قائمة³. وانطلاقاً من دراستها للأنساق المعرفية المتقابلة تقارن منى أبو الفضل المنظومة المعرفية التوحيدية بالمنظومة الحدائرية، وبينما تجد الخالق الإله هو ركيزة المنظومة المعرفية التوحيدية فإن منظومة الحدائرية قد أقصت الإله كلية وأحلت العقل/الإنسان محله باعتباره مركزاً ومرجعياً، وأضفت عليه صفة الإطلاق، وصبغت بقية العناصر بالطابع النسبي، وقد ولدت هذه المرجعية النسبية حسبما ذهبت منى أبو الفضل نوعاً من التراجع في الثقافة؛ حيث تتأرجح الأفكار كبندول الساعة بين طرف ونقيضه، بين المثالية القحة من جهة والمادية المفرطة من جهة أخرى وبينهما مستمر⁴.

ثالثاً . مشروع العلاقات الدولية في الإسلام: ويقدم تطور ونما عبر حول مراحل ثلاث رئيسية، شكلت منهجاً علمياً ومساراً بحثياً لهذا المشروع:

1 . مرحلة تدريس مفردات متعلقة بالعلاقات الدولية: كانت سنة 1986 سنة تدشين مرحلة جديدة مع مشروع العلاقات الدولية في الإسلام استكمالاً للجهود السابقة، وقد استغرق المشروع عشرة أعوام تحت عنوان "العلاقات الدولية في الإسلام" صدرت أعماله في اثني عشرة مجلداً⁵. كانت مخرجات هذا المشروع بمثابة التمهيد اللازم لبناء منظور حضاري لدراسة العلاقات الدولية مقارنة بالمنظورات الأخرى، وقد كان تدريس مقرر "نظرية العلاقات الدولية" منذ العام الجامعي 1998 . 1999 هو ساحة التفاعل مع الطلبة على نحو حقق أمرين: . من ناحية أولى: اختبار مقولات المنظور وتطويره على ضوء الأسئلة المتراكمة للطلبة من خلفيات مختلفة.

1 . المرجع السابق، ص 139

2 . نادية مصطفى وسيف عبد الفتاح ، دورة ، ص 113

3 . نادية مصطفى وسيف عبد الفتاح ، دورة في المنهجية ، ص 115

4 . معاد الخطيب، منى أبو الفضل ومعالم رؤية نسوية بديلة، على الرابط:

<http://www.darbuna.net/blog/2008/11/01/%D9%85%D9%86%D9%89-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%>

5 . نادية مصطفى، منهجية إسلامية المعرفة من المنظور والتأصيل، ص 147

ومن ناحية أخرى: استتثار اهتمام جيل ثان من شباب الباحثين بهذا المجال البحثي الجديد في نطاق الجماعة البحثية المصرية في مجال العلاقات الدولية¹.

2 . مرحلة البحث في إطار الندوات العلمية والمؤتمرات والملتقيات العلمية وما يعرف بالسيمينار: إذ

اقترن تدريس مقرر نظرية العلاقات الدولية (من مدخل المنظورات المقارنة، وعلى نحو يفسح المجال لطرح مقولات منظور حضاري إسلامي في إطار مقارن) وذلك لمدة تزيد عن عقد زمني (1997 . 2009)، وما استتبع ذلك من ملتقيات وندوات علمية ومؤتمرات .. تم خلالها عرض الموضوعات التي تستدعي لطاولة النقاش الأكاديمي تطبيقات للمنظور الإسلامي، على سبيل المثال: الندوة: المصرية . الفرنسية التاسعة في العلوم السياسية والاجتماعية: الآفاق والتوقعات، في القاهرة (فبراير 2000)، والتي تناولت ما طرح في مجال توظيف التاريخ لدراسة العلاقات الدولية، وفي مجال المنظومات القيمية التي تمثل مدخلا أو إطارا مرجعيا يساعد في تشخيص وتفسير وتقييم مسار العلاقات الدولية (في كلياتها وجزئياتها)².

3 . مرحلة تسجيل الرسائل العلمية : وكانت الغاية من ذلك إعداد جيل من الباحثين المهتمين بهذا

المنظور: معرفيا ومنهجيا ونظريا، أو على الأقل: المهتمين بالمنظور القيمي . بصفة عامة وبمراجعة المنظورات الغربية (الوضعية . العلمانية)، وهذا على اعتبار أن هذه المراجعة هي نقطة انطلاق للمشاركة بعد ذلك في استكمال مسيرة منظور حضاري مقارن لدراسة العلاقات الدولية³.

4 . تأسيس برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في نيسان/ أبريل 2002،

استنادا إلى خطة علمية حددت دوافع هذا التأسيس وأهداف البرنامج⁴.

وكان المنطلق الذي حددته ورقة العمل التمهيدية التي أعدتها نادية مصطفى في مرحلة التدشين (شباط/فبراير 2003 . حزيران/ يونيو 2003)؛ ضرورة الوعي بأن البحث في الدراسات الحضارية ليس غاية في حد ذاته في نطاق هذا المشروع البحثي، ولكن لا بد من تسكين هذا الموضوع في إطار العلوم السياسية، مع الاستعانة بتخصصات أخرى، وعلى النحو الذي يسمح . من ناحية أخرى . بالربط بموضوع البرنامج الأساسي ألا وهو حوار الحضارات وصراعاتها.

تحدد نادية مصطفى أن هدف المشروع البحثي بأنه بيان كيف تكون الدراسات الحضارية مجالا جديدا في الدراسات السياسية، وكان هذا يستلزم تصورات من متخصصي العلوم السياسية الكبرى عن موضع البعد

1 . المرجع نفسه، ص 147

2 . المرجع نفسه، ص 140

3 . المرجع نفسه، ص 142

4 . تنظر هذه الأهداف مفصلة كما أوردتها نادية مصطفى محمود في مقدمة تحرير المشروع ضمن: التأسيس النظري للدراسات الحضارية ، الحوار مع الغرب: آلياته . أهدافه . دوافعه، لمنى أبو الفضل وأميمة عبود وإسماعيل وسليمان الخطيب، ط1، (دمشق: مكتبة الأسد، 1429/ 2008)، ص 7

الحضاري والدراسات الحضارية من رؤى ومنظورات ونظريات هذا الفرع في المرحلة الراهنة من تطور حالة العلم، وهي المرحلة التي تشهد الجدل حول دوافع ومبررات وأشكال الاهتمام بالبعد الحضاري والثقافي وأثره في التفاعلات السياسية، الداخلية منها والعالمية، وإذا ما كان هذا البعد عاملاً من العوامل المفسرة أم مجرد أداة من أدوات إدارة السياسات، وترى أن التأصيل للمنظور الحضاري يحقق ما يلي: إنهاء الفصل بين التاريخ والاجتماع والسياسة، والتأصيل للأنساق المعرفية المتقابلة وموقفها من صناعة العمران، حيث إن مجال الدراسات الحضارية تتقاسمه أنساق معرفية متقابلة (إسلامية ووضعية)، ومداخل (فلسفية، تاريخية) والمشروع وفق هذا المنطلق كان يتطلب محورا تمهيديا يقدم تأصيل مجال الدراسات الحضارية في فروع العلوم السياسية سعياً نحو منظور حضاري لدراسة علم السياسة¹.

وعن وضع المشروع البحثي في نطاق الخطة العملية لبرنامج حوار الحضارات وعلاقته بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية من ناحية، وبمنظور حضاري للعلوم السياسية من ناحية أخرى، حددت نادية مصطفى النقاط التالية²:

1 . إن غاية المشروع هي التأصيل النظري للعلاقة بين الثقافة والحضارة والدين على النحو الذي يخدم دراسات حوار الحضارات، حيث تتداخل المفاهيم ولا تتضح الأطر النظرية.

2 . هذه الغاية تنطلق من العلوم السياسية، ومن ثم كان لا بد من التساؤل عن وضع البعد الحضاري بصفة عامة من دراسة العلوم السياسية، بحثاً عن وضع مجال حوار الحضارات في الدراسات السياسية المعاصرة وفهما له.

3 . وحيث إن البعد الحضاري قائم في مجالات معرفية أخرى، وحيث تتقاطع الحدود بين هذه المجالات وبين مجال العلوم السياسية في مرحلة تعالت فيها الدعوات إلى التعاون بين العلوم، فلا بد من الاستعانة بالتأصيلات النظرية عن الموضوع التي قدمتها هذه العلوم.

4 . الاهتمام بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية لا يعني البحث عن منظور حضاري إسلامي فقط، لأن البعد الحضاري قائم الاهتمام به . بمعان مختلفة . لدى التيارات والاتجاهات المتنوعة، ومن ثم؛ فإن التأصيل النظري المطلوب سيكون من منظورات مقارنة، وليس من منظور إسلامي فقط.

5 . لا يمكن أن نظل . على صعيد المنظور الحضاري . مكتفين بالدعوة إلى أهميته وضرورته، ولكن يجب أن نمتد إلى أبعد من ذلك، ومن ثم؛ فإن التأصيل النظري للعلاقة بين الحضارة والثقافة والدين سيكون ساحة أساسية لبلورة إسهام المنظور الحضاري الإسلامي في هذا المجال، ومن ثم يكون هو دعامة من دعائم مجال الدراسات الحضارية ، ويصبح ذلك المجال بدوره نتاج ومحصلة عمليات عديدة .

¹ . المرجع نفسه، ص 12

² . المرجع نفسه، ص 18 . 19

المطلب الثالث: أهمية بناء وصياغة منظور حضاري إسلامي للعلاقات الدولية .

تنبع أهمية المنظور الحضاري الإسلامي في العلاقات الدولية من مختلف الأسباب والمبررات والدواعي التي أدت إلى نمو فكرته، وتجسدها على مستوى البحث من قبل المختصين والمهتمين بالعلاقات الدولية بوجه عام ومحاولة توضيح الدور المنوط بالمدخل الإسلامي في إثراء هذا الحقل المعرفي، من خلال "تبني المنظور الحضاري الإسلامي" كمنظور يعبر عن التوجه الإسلامي في دراسة وتناول العلاقات الدولية في الإسلام.

أولاً . أزمة علم العلاقات الدولية، وحالة مراجعة العلم

تبين الجدالات الكبرى في العلاقات الدولية أن منظري العلاقات الدولية يتفقون على أن العلم يمر بأزمة ومن ثم فهو يحتاج إلى مراجعة¹، ومن أهم مؤشرات هذه الأزمة:
عدم وجود منظور سائد ومهيمن في هذا المجال كما حدث في المراحل السابقة.

عدم وجود نظرية عامة للعلاقات الدولية، إضافة إلى فشل النظريات الكبرى في التنبؤ بنهاية الحرب الباردة.

اهتزاز الخطوط الفاصلة بين علم العلاقات الدولية وعلوم اجتماعية وإنسانية أخرى، نظراً لاتساع نطاقه وحدوده، وتعقد أجندة موضوعاته بعد أن تجدد الاهتمام بالأبعاد الدينية والثقافية والحضارية في دراسة العلاقات الدولية وبأنماط جديدة من الفواعل والعمليات²

ثانياً . بروز البعد القيمي في دراسة العلاقات الدولية:

أن مراجعة حالة علم العلاقات الدولية - خلال العقدين الماضيين - قد بينت كيف أضحت الأبعاد القيمية والثقافية والدينية في قلب الاهتمامات النظرية والحركية على حد سواء، وكيف تنوعت مواقف المنظورات المختلفة من أسباب بروز هذه الأبعاد وآثارها على حالة العلم (الذي ظل طويلاً تسوده اتجاهات العلمنة واتجاهات البحث الوضعي الخالي من القيم)، وعلى النحو الذي أفرز التساؤل التالي: هل علم العلاقات الدولية يدخل مرحلة جديدة؟ وحيث إن قضايا الأمة الإسلامية (أو العالم الإسلامي) تستدعي - من مداخل متنوعة - موضع الإسلام والمسلمين في النظام الدولي المعاصر، لذا فإن المنتمين للمنظورات المختلفة وليس المنظور الحضاري الإسلامي فقط، ساهموا تشخيصاً وتفسيراً وتحليلاً في دراسة هذا الموضوع وآثاره على حالة السلم والاستقرار العالميين.

وكان من أهم ملامح مراجعات ما بعد الحرب الباردة وما بعد الوضعية ملمحان أساسيان متكاملان؛ أولهما: بروز أهمية الدين والثقافة في دراسة العلاقات الدولية، بعد أن حازت الاهتمام والأولوية في ظل سيادة المنظور الواقعي القضايا والأبعاد العسكرية . الأمنية، ثم نافستها في مرحلة تالية قضايا الاقتصاد السياسي الدولي، وثاني هذه الملامح: هو مراجعة المنهج الوضعي . السلوكي . الإمبريقي الذي رفع شعار "علم خال من القيم"؛ وهي

¹ . نادية مصطفى، من أجل منظور حضاري إسلامي لدراسة العلاقات الدولية، مجلة الإحياء، العدد 30 . 31، ذو القعدة 1430 / نوفمبر

2009م، ص62

² . المرجع نفسه، ص62

المراجعة التي قادت إلى رد الاعتبار للقيم، على أساس أن أحد أهم أسباب عدم الوصول إلى نظرية عامة أو عدم وجود منظور سائد هو . كما يقول "هاليداي وهولستي" على سبيل المثال . هو إهمال القيم والتاريخ والفلسفة . هذا؛ وكانت القيم . إلى جانب غيرها من الأبعاد . محورا أساسيا من محاور الجدل الثاني الكبير في تاريخ العلم، أي الجدل بين السلوكية والتقليدية.

كما أضحى الفصل بين البعد القيمي والبعد المادي في دراسة العلاقات الدولية، خلال سيادة المنظور السلوكي وفي ظل الوضعية العلمانية موضع نقد أساس في مرحلة ما بعد السلوكية، ثم تبلور هذا النقد في مرحلة ما بعد الوضعية مما يعبر عن رفض أزمة الازدواجية الناجمة عن هذا الفصل¹.

ولقد اقترن بهذا التجديد في الاهتمام بالقيم بروز للأبعاد الثقافية والدينية . وخاصة منذ نهاية الحرب الباردة، ويقدر ما شهدت ساحة العلم جدالا حول القيم تبلورت أيضا جدالات حول أمرين: من ناحية؛ هل حدث تحول في منظورات دراسة العلاقات الدولية نظرا لبروز دور الدين والثقافة على مستوى التنظير والواقع، وهل المتغيرات الثقافية والدينية هي متغيرات مستقلة أم تابعة؟ ومن ناحية أخرى؛ هل الاختلافات بين الثقافات والأديان لا بد وأن تقود إلى صراعات وما تأثيرها في استقرار وأمن وسلام العالم؟ وما أنماط العلاقات بين الأديان والثقافات وبين المصالح وتوازنات القوى؟².

ثالثا . قدرة المنظور الحضاري على التصدي لإشكاليات عرفها حقل العلاقات الدولية.

وتلخص نادية مصطفى أهم الإشكالات التي تصدى لها المنظور فيما يلي:

1 . تجاوز العلاقات الدولية الراهنة في ظل العولمة لمستوى الدولة القومية وحدودها إلى مستويات أكبر رحابة وشمولا مثل مستوى "الأمة".

2 . تجاوز مداخل التشخيص وتفسير وتحليل العلاقات الدولية التقليدية، التي تركز على الاقتصادي أو العسكري أو الثقافي إلى مداخل أكثر كلية، أي مداخل حضارية تقدم رؤية شاملة للعلاقات بين هذه الأبعاد للظاهرة الواحدة.

3 . تجاوز مداخل الدراسة "العلمية" بالمعنى الضيق التي تريد علما خاليا من القيم إلى مداخل "قيمة"، ولكن ليست مثالية (التي تركز على ما يجب أن يكون)، والتي تقدم الميزان اللازم للنظر في الواقع تشخيصا وتفسيرا وتقويما ومن ثم؛ فهي مداخل قيمة واقعية.

وتخلص نادية مصطفى للقول؛ بأنه يمكن القول انه نمت منطقة مشتركة بين اهتمامات هذه الجهود النظرية من الغرب وبين اهتمامات دراسي العلاقات الدولية من منظور حضاري إسلامي، أو من حيث أولويات أجندة

¹ . نادية مصطفى، نادية مصطفى، في منظور حضاري لدراسة العلاقات الدولية: خبرة البناء، الخصائص والإشكالات، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ص 7.6 . على الرابط:

http://hadaracenter.com/index.php?option=com_content&view=category&id=261&Itemid=544

² . المرجع نفسه، ص7

قضايا ومستويات التحليل موضع الاهتمام، وأنماط التفاعلات البديلة لأنماط الهيمنة والسيطرة القائمة، ومن حيث المفاهيم المقارنة الناقدة السائدة في ظل منطق الصراع والهيمنة الغربي، مشيرة إلى أنه وبالرغم من هذه المناطق المقارنة بين منظورات غربية ومنظور حضاري إسلامي، فيظل هناك مكامن للاختلاف لا بد وأن نكشف عنها، وهي اختلافات ترجع إلى اختلاف النماذج المعرفية، وعلى هذا؛ فإن مناطق التقاطع ومناطق الاختلاف، يجسد التراكم الذي مثيه الاجتهاد من منظور حضاري إسلامي لدراسة العلاقات الدولية مقارنة بالمنظورات الأخرى التي سادت أو ظهرت على صعيد العلم خلال القرن الماضي¹

رابعاً. شمولية وعالمية المنظور الإسلامي، والتأكيد على الخصوصية الثقافية والحضارية

تشير نادية مصطفى إلى العلاقة بين طبيعة النسق المعرفي، والمنظورات المنبثقة عنه أو منه، والأطر النظرية والمفاهيمية، ومبلغ تأثيرها بالمنظورات، ومن ثم ضرورة تحديد الاختلافات بين النسق المعرفي الإسلامي والنسق المعرفي الغربي ودلالة هذه الاختلافات بالنسبة للأبعاد المقارنة بين منظور "غربي" لدراسة العلاقات الدولية، و"منظور إسلامي" يطمح لتحقيق ذات الهدف انطلاقاً من تحليل المصطلح².

ولا يستغرب أن يكون المنظور الذي يستقى من الخبرة الحضارية الإسلامية، منظورا يتسم بالعالمية قدر ما يكون منظورا يتسق ودراسة الواقع العربي المعاصر بوجه خاص، فالأمة في الإسلام استوعبت عملياً وثقافياً، من حيث العقيدة والفكر والروح والقيم، شعوباً وقبائل لم تقتصر على جنس أو عنصر أو تاريخ دون غيره³.

وتبرز أهمية تبني المنظور الإسلامي في دراسة العلاقات الدولية في أنه يتبنى نظرة أكثر شمولية من التوجهات الغربية، فلا توجد تفرقة بين المثالية والواقعية، وإنما يتميز المنظور الإسلامي بأنه توحيدى: المثالية والواقعية فيه هما مستويان يدخلان في نفس الإطار المرجعي، وبالتالي؛ فإن دراسة العلاقات الدولية في الإسلام يمكن أن توضح أهمية ومساهمة النظرة الشمولية التوحيدية الشاملة في فهم الظواهر التي تقع في نطاق علم العلاقات الدولية⁴.

تسجل نادية مصطفى أن الدافع الذي يجب الانطلاق منه والتأسيس عليه لبناء منظور حضاري إسلامي هو: «أن طبيعة الإسلام من ناحية، والنسق المعرفي المتولد عنه من ناحية أخرى يفرضان البحث في العلاقات الدولية من منظور إسلامي استناداً إلى طبيعة الدعوة وطبيعة الرسالة التي يحملها الإسلام للعالمين وللإنسانية جمعاء وليس للأمة الإسلامية فقط»⁵.

أما سيف عبد الفتاح، فيعرف المنظور الحضاري في فقه الرؤية الإسلامية: «يعني ضمن ما يعني ضرورة إعادة النظر في مفهوم الحضارة الذي يعكس الحضور والفاعلية وفق معانيها اللغوية، ويعتبر الشروط المعنوية في

¹ . نادية مصطفى، أفكار حول إسهام التراث الخلدوني في الفكر الدولي والنظرية الدولية، دراسة استكشافية في الإشكاليات المنهجية، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات، نوفمبر 2006)، ص 18-19.

² . نادية محمود مصطفى، من أجل منظور حضاري إسلامي لدراسة العلاقات الدولية خبرة البناء: الخصائص والإشكاليات، مجلة الإحياء، ص 59.

³ . نادية مصطفى وسيف عبد الفتاح وماجدة إبراهيم، التحول المعرفي والتغيير الحضاري، "1 (مصر: دار البشير، 2011)، ص 50.

⁴ . المرجع نفسه، ص 86.

⁵ أ نادية مصطفى الإحياء 60

تحقيق مقتضى الشهادة على الناس»¹. ويقول: بل هو يعني جملة أنه لتغيير أوضاعنا الحضارية في ضوء الرؤية الإسلامية لا بد أن تكون مصطلحاتنا الحضارية تعبر تعبيراً دقيقاً عن حقائقها وطبيعتها، ووحدها الداخلية ومنظومتها المتميزة، لأن في ذلك الصفاء ووضوح الرؤية واستقامة المنهج، ولأن التغيير الحضاري في أي مجتمع إذا قاده التلفيق بين مجموعات اصطلاحية، تنتمي إلى منظومات (حضارية) مختلفة؛ فإن ذلك التغيير يفقد التخطيط الموجه ويدخل في إطار الفوضى في الفكر والممارسة، بما يؤثر في كيان المجتمع كله، وفوضى الاصطلاحات من جهة أخرى دليل عدم الأصالة، وبرهان عدم وجدان الذات وفقدان للخصوصية الحضارية»².

والمنظور الحضاري - إذا - يتعلق بالاستخلاف والتغيير، فإنه يطمح أن يضبط عملية هداية الإنسان وأن ينظمها منهاجاً واتجاهاً وغاية، وأن يحافظ بذلك على تفرده في الجماعة المهنية، وبالتالي فهو يطمح أن يجعل أسس تربية الإنسان وأهدافها متفقة مع تكريمه واستخلافه في الأرض.

المبحث الثالث: مرتكزات المنظور الحضاري الإسلامي للعلاقات الدولية لتحقيق "ادخلوا في السلم

كافة".

يحاول هذا المبحث، تقديم بعض المرتكزات التي تراها الورقة البحثية تفعيلًا للمنظور الحضاري الإسلامي، كنقاط تمثلية، إذ تتبع واستقرأ هذه المرتكزات، يحتاج إلى جهد أكبر ووقت أطول، وهي تؤكد على ضرورة التمييز بين المنظور الفقهي والمنظور الحضاري، دون الفصل بينهما، بل الأول قاعدة للثاني، وأصل له.

المطلب الأول: قدرة النموذج الحضاري على تجاوز البعد التقني التشريعي للعلاقات الدولية في

الإسلام.

على مستوى الفكر الغربي، بدأ التنبيه إلى ضرورة دراسة العلاقات الدولية بشكل يتخطى القانون الدولي أو التنظيم الدولي في الكتابات الذي ظهرت في الولايات المتحدة وبريطانيا في فترة الثلاثينات من هذا القرن، ومع أن بعض الكتاب حاولوا وضع نظرية في العلاقات الدولية تركز على القانون والتنظيم الدوليين، وتستند إلى المواد القانونية والخبرة الإدارية الدولية، إلا أن عدداً من الباحثين سعى لدراسة ظاهرة العلاقات الدولية خارج نطاق القانون وانطلاقاً من السعي لتفسير القوى والوقائع في العلاقات الدولية بشكل أكثر ديناميكية وشمولية³.

هذا التوجه في دراسة الظاهرة الدولية، هو أحد الأبعاد التي يستفيد منها المنظور الحضاري الإسلامي في العلاقات الدولية، إذ أن من أهم النقاط الواجب ملاحظتها على مستوى دراسة المنظور الحضاري في العلاقات الدولية في الإسلام؛ هو ضرورة التفرقة بين دراسة العلاقات الدولية وبين دراسة القانون الدولي والشريعة الإسلامية،

¹ - سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي منهجية التجديد السياسي وخبرة الواقع العربي المعاصر، ط1،

(الأردن: المركز العربي للدراسات السياسية، 2002)، ص 203 /

² - المرجع نفسه.

³ - جيمس دورتي وروبرت بالسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحفي، ط1 (الكويت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985)، ص9

حيث أن الأخير لا يمثل المحور الوحيد للتنظير حول الأولى، وذلك نظرا للفجوة بين دراسة الظاهرة الدولية (من منظور إسلامي)، وبين دراسة القواعد المنظمة لها في زمن السلم والحرب¹.

يعرف الفقه اصطلاحا بأنه: «العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية»، وعلى ذلك يكون الفقه السياسي الإسلامي أحد مجالات الفقه الإسلامي، ويعتبر مجال فقه العلاقات الدولية فقها ينتمي إلى دائرة الفقه السياسي الذي يندرج - هو الآخر - تحت مسمى الفقه الإسلامي.

فلقد كانت الرؤية الفقهية جزءا من الفقه السياسي الذي يحكم علاقات المسلمين بغيرهم في داخل "دار الإسلام" وفي خارجها، وهو الفقه الذي تشير كثير من الدراسات إلى أنه لم يَنَمْ ولم يتطور بالمستوى الذي تطور فيه فقه العبادات والشعائر الفردية، وما تطور من تقسيم للناس من حيث موقعهم من رسالة الإسلام إلى "أمة استجابة" تحمل الرسالة، و "أمة دعوة" لا تزال الرسالة تتوجه إليها، لم يحل مشكلة أزمة الفقه السياسي والرؤية الانقسامية للعالم. لذلك؛ فإن ثمة تساؤلات متعددة تستدعي دراسات منهجية عميقة، تبحث في العوامل التي شكلت عناصر هذه الرؤية الفقهية في العقل المسلم المعاصر، وموقع المرجعية القرآنية في تحديد هذه العناصر، وموقع السيرة النبوية والسنة النبوية فيها، ودور الواقع التاريخي وتبدلات الوزن السياسي للخلافة الإسلامية في العصور المتعاقبة، وأثر ذلك كله في تحديد الصورة التي ظهرت عليها إسهامات العلماء في التراث الإسلامي، وأثر هذا التراث في فهم الواقع السياسي والاجتماعي الذي عاشه رجال الفكر والدعوة، والإصلاح في القرن العشرين، وكيف انتهى الأمر إلى ما نشهده اليوم من استمرار الرؤية الفقهية الانقسامية التي تنتمي إلى التراث، وإلى ظهور صور من فهم العلاقات بين المسلمين وغيرهم في داخل بلاد المسلمين التاريخية، وفي خارجها، كما كانت هذه العلاقات في التاريخ، وكما يجب أن تكون في الحاضر والمستقبل².

وإذا حاولنا وفي سياق ما يدرس في فقه العلاقات الدولية، لرأينا أن الدرس العلمي يتوجه نحو:

- 1 . البحث في تقسيم الدار في لفقه الإسلامي، وما يرتبط به من أحكام شرعية .
- 2 . بحث الأصل في العلاقات الدولية هل هي السلم أم الحرب؟
- 3 . المعاهدات في الإسلام.
- 4 . ضبط الأحكام الشرعية لعلاقة المسلم بالآخر وطرح فكرة التعايش السلمي "باللغة المعاصرة".
- 5 . معاملة الأسرى وفتات خاصة أثناء القتال ...

يمكن اعتبار النقاط السابقة؛ مدار دراسة العلاقات الدولية كما عرفها التراث الإسلامي، والسؤال، هل يمكن لمثل هذه الرؤيا أن تسهم في تقديم منظور بديل للعلاقات الدولية في ظل أزمة هذا العلم وحالة المراجعة له، لاسيما بعد نهاية الحرب الباردة؟

¹ . نادية مصطفى، أفكار حول إسهام التراث الخلدوني في الفكر والنظرية الدولية : دراسات استكشافية في الإشكاليات المنهجية ص16.

² . فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، ط1 (هرنندن، فيرجيني، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

هل في مقدور هذه المعطيات التي تتمحور حولها دراسة العلاقات الدولية في الإسلام أن تكون لها القدرة في تشكيل منظور حضاري إسلامي بدلالات هذا المفهوم كما حاول المهتمون من الأكاديميين والباحثين دراسته وابتناؤه وتقديم صورة تعريفية، فقد أرجع أحد الباحثين سبب عجز المنهجية التقليدية في دراسة العلاقات الدولية إلى :

الأول: أنها تحصر مفهوم الاجتهاد في مجال الفقه، وتحصر الفقه معنى الفقه في الأحكام والتشريعات القانونية التي عرفتها المذاهب الإسلامية، وقد تم تجاوز المعنى القرآني لمصطلح الفقه الذي فهمه فقهاء الإسلام العظام، ذلك الفهم الذي يشمل الإدراك والوصول إلى العلم والمعرفة، وتحديد المبادئ الأساسية للفهم الأساسي للحياة والواقع، وبذلك انحصر فقهاء اليوم في الإفتاء بالحل والحرمة إلى الحد الذي أصبحوا فيه عاجزين عن الاضطلاع بالمسئوليات التي نهض بها العلماء الأولون.

أما الوجه الثاني لعجز المنهجية التقليدية، فهو حب الاغتراب في الدنيا وإهمال شأنها وتركها للطغاة والمستبدين، فهو حب الاغتراب في الدنيا وإهمال شأنها وتركها للطغاة والمستبدين الفاسدين والتحليق في المثاليات الصوفية¹.

ويمكن أن ستخلص نوعا من التكامل بين مجموعة من المفاهيم، تخدم في النهاية المنظور الحضاري الإسلامي في العلاقات الدولية، والذي لا يخرج في المحصلة ومها كانت أبعاده وغاياته عن فكرة "تنزيل الأحكام الشرعية" التي هي مناط التكليف، وهذه الصورة يوضحها قول سيف عبد الفتاح «والمنظور الحضاري يتأسس على النظرية الإسلامية من الناحية المنهجية، يعتمد طريقتها ويعتبر ضوابطها في معالجة الواقع وفقه أهم عناصره كمقدمة أساسية لتنزيل الحكم الشرعي بعد استنباطه من النصوص عليه، بما يحقق التكامل مع المنظور الأصولي القائم على منهجية الاجتهاد، وما يرتبط بذلك من تنزيل الأحكام على الوقائع تنزيلا إسلاميا متكاملا يكون مطابقا لمفهوم الهداية، حيث ينبغي أن يؤدي إلى مستوى الإحسان في الأداء، ذلك المستوى الذي تبلغ به الشخصية الإنسانية مرضاة الله، إلا أن منهجية الاجتهاد لا تهمل أن الفرد والجماعة عرضة للانحراف وفي حاجة دائمة لبذل الجهد الواعي للمحافظة على الاتجاه الصحيح والعودة إليه لدى أي انحراف. وإذا بلغ الانحراف مداه؛ فإن انخيارا شاملا سيتهدد الجماعة في كيانها الفكري والسياسي ثم في وجودها وكيانها الاجتماعي والحضاري، وفي مشاعرها وشعائرها، وليس لأية جماعة قدسية تزيد عن كونها جماعة إنسانية مسؤولة ومستخلفة، فإذا ما التزمت الهدى التزاما واعيا شاملا فإنها ستواجه متطلبات المسؤولية وتتقدم في معارج الهدى لا معارج التقدم التكنولوجي أو المعرفي والاقتصادي فحسب، وأي تراجع عن هذا الالتزام يهدد بإزالتها مهما كان مستوى تقدمها المادي والشكلي.

بل إن هذا المنظور يجعل تجسيد الأفكار والمفاهيم الإسلامية تجسيدا نقييا مستمرا متحركا في الاتجاه العالمي، مرتبطا بمرضاة الله وتحقيق خيرية الأمة والاضطلاع بوظيفة الشهادة على العالمين².

¹ . المرجع السابق، ص 80

² . سيف عبد الفتاح، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي، ص 203 . 204

المطلب الثاني: التجديد في الرؤية الفقهية وتبني مدلول الفقه الحضاري تفعيلًا للمنظور الحضاري الإسلامي في العلاقات الدولية.

إن الإفادة من مدلول "الفقه الحضاري" قد تسهم تفعيل المنظور الحضاري الإسلامي للعلاقات الدولية، إذ يعرف الفقه الحضاري، أو فقه التحضر. كما يطلق عليه عبد المجيد النجار، بأنه: «المبادئ والأصول والقواعد التي تشكل نسقًا يحكم الظاهرة المعينة، أو العلم المعين أو الحضارة المعينة»¹.

ويعرفه باحث آخر بقوله: «إن الفقه الحضاري يعني؛ القواعد والمبادئ والأصول التي تستمد من الشرع الحنيف لتوجيه الحياة وإرشادها، وإيجاد الحلول المناسبة لجديد قضاياها»².

وعلى ذلك، واستنادًا إلى التطور الملحوظ على مستوى الحقل المعرفي للعلاقات الدولية، ومختلف المنظورات التي تنافست في تعريفه وتحليل معطياته، يأتي مدلول الفقه الحضاري ليكون مدلولًا موسعًا، يستوعب عددًا من المتغيرات التي كشف عنها الواقع المتغير للعلاقات الدولية، ابتداءً من عدم قصر فكرة العلاقات الدولية على علاقات تكون بين الوحدات السياسية، وإنما تتجاوزها لمختلف الظواهر والتفاعلات والفواعل المساهمة في بلورة مدلول جديد للعلاقات الدولية، ليتحول مفهوم فقه العلاقات الدولية إلى مفهوم أكثر استيعابًا لمختلف الظواهر المقترنة بالظاهرة الدولية في أبعادها الثقافية (القيمية والحضارية)، إلى الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهو أمر قد تعبر عنه الدراسات المعاصرة في حقل العلاقات الدولية أو السياسة الدولية بعلاقة الداخل بالخارج، وهي إحدى الأفكار التي تلقى مراجعة على مستوى هذا الحقل.

تؤكد نادية مصطفى على التفرقة بين المنظور الفقهي في دراسة العلاقات الدولية، وبين مدلول المنظور الحضاري إسلامي للعلاقات الدولية، فغالبا ما يبرز في الأذهان وفي معظم الأعمال التي تصدت لنظرية العلاقات الدولية في الإسلام كما لو أن العلاقات الدولية في الإسلام هي فقه الأحكام أو فقه المبادئ والأسس فقط، في حين أن الشريعة الإسلامية أكثر اتساعًا من هذين المجالين على أهميتهما، وهذا المنطلق الحضاري ينبع أيضا من القرآن والسنة، فهي تتضمن القيم والسنن كما تتضمن المبادئ والأحكام³.

المطلب الثالث: المنظور الحضاري للعلاقات الدولية وقيم التعاون والأبعاد الإنسانية.

قد يعبر عن هذه القيم بلغة التقنين والتشريع ب"المبادئ"، وتعتبر هذه المبادئ مبادئ عامة إسلامية حاکمة على العلاقات الدولية، أو بالأحرى على علاقة المسلم بالآخر، وهي مجموع المبادئ التي يشير إليها أبو زهرة في

1 . عبد المجيد النجار، **الشهود الحضاري**، (للمرجعة والتوثيق)

2 . نبيل بن معيوف بن ظفير الغافري، **الفقه الحضاري: الواقع والطموح**، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية الفقه الحضاري . فقه العمران، ط1(سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1433 هـ / 2012م)، ص871

3 . نادية مصطفى ، **المنظور الحضاري والعلوم الاجتماعية**، ضمن أعمال ندوة: قراءة في منظومة العطاء الفكري للدكتورة منى أبو الفضل، ص67

كتابه "العلاقات الدولية في الإسلام"¹ والتي كثيرا ما يرجع إليها الباحثون والدارسون عند دراستهم لمبادئ العلاقات الدولية في الإسلام.

من هذه المبادئ: الكرامة الإنسانية، والناس جميعا أمة واحدة، التعاون الإنساني، التسامح، الفضيلة، العدالة، المعاملة بالمثل، الوفاء بالعهد، المودة ومنع الفساد²

1. وحدة الأصل الإنساني أو الأخوة الإنسانية: ويعتبر هذا المبدأ أحد أهم سمات وخصائص المنظور الحضاري الإسلامي في أبعاده الإنسانية التي تتجاوز الرؤية الضيقة إلى الرؤية الاستيعابية لقيم الإخاء والإنسانية والحرية والمساواة، والكرامة الإنسانية وغيرها من القيم الفردية والجماعية في هذا السياق، فهو يشكل بهذا التوصيف لا نمودجا تكامليا بين قيم الفرد، وقيم الجماعة، وقيم الإنسانية ككل.

2. التعاون والاعتماد المتبادل: يؤسس لمبدأ التعاون في الشريعة الإسلامية قوله تعالى: ((وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان))، وتعتبر الآية الكريمة قاعدة وضابط لتعامل المسلمين فيما بينهم ومع غيرهم، تعلق الأمر بالداخل الإسلامي أو بالخارج غير الإسلامي، وهو بعد قيمي يتسم به المنظور الإسلامي وتضبطه أحكام الشريعة وقواعدها، وذلك يرتد إلى فكرة وحدة النص الشرعي للقضايا والمستجدات، فالخمر محرم في الداخل كما هو محرم في تعامل الدولة مع الخارج، والربا يظل ربا في الداخل وفي الخارج، وهو أهد أهم الأبعاد التي توليها الدراسات النقدية المعاصرة المتمثلة في علاقة الداخل بالخارج في السياسة الدولية.

أما الاعتماد المتبادل، فمن بين أسط تعريفاته: «ظاهرة عبر قومية معقدة تتضمن أنماط تفاعلية متعددة الأبعاد ومتعددة القطاعات بين الدول، ينتج عنها درجة عالية من حساسية التفاعلات بين أعضاء النظام للتغيرات التي تقع في إطار أحدهم، كما ينتج عنها درجة عالية من عرضة هؤلاء الأعضاء أو قابليتهم للتأثير بالقوى والأحداث الخارجية ومن ثم يتوقف عليها مدى قدرتهم على مواجهة أو عدم مواجهة أعباء وتكلفة هذه التأثيرات الخارجية، والاعتماد المتبادل يكون متعدد الأبعاد بمعنى يقع على مستويات إقليمية أو قارية أو عالمية، وهو متعدد القطاعات، بمعنى أنه يمتد إلى مجالات سياسية واقتصادية وعسكرية وغيرها في نفس الوقت»³.

الخاتمة :

على اعتبار أن الدراسة القانونية والتشريعية للعلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية، تركز على بيان الحكم الشرعي، وهذه الزاوية يطغى عليه المدلول الفقهي للعلاقات الدولية في سياق "العلم بالأحكام الشرعية"، وهذه ركيزة لا يمكن تجاوزها بحال في دراسة العلاقات الدولية في الإسلام، لكن ذلك لا ينفي أنه وفي ظل المعطيات

¹ . محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، (مدينة نصر (القاهرة): دار الفكر العربي، 1405 / 1995)، ص 20 . 49

²² . المرجع نفسه .

³ . نادية مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد، (مرجع سابق)

والتغيرات الدولية والمحلية الحالية، يحتم كل ذلك إعادة النظر في النظرة السابقة للدلالة الفقهية التي اصطبغت بها العلاقات الدولية في الإسلام، إذ يجب (أولاً)، التوسيع على مستوى دراسة العلاقات الدولية من خلال طرح المفاهيم المستجدة على أرض الواقع وإيجاد طريقة لمعالجتها على مستوى النظرية وأثر ذلك على جانب السلوك والممارسة، حتى لا يبقى مدلول العلاقات الدولية في الإسلام نظرية تفهمها عقول مسلمة اهتمت بهذا الجانب من المعارف التي قد يجد لها المختصون رابطاً بفقهاء السياسة الشرعية.

ولأن العلاقات الدولية ليست فقط (بعدها فقهيًا) مرتبطة بالعلم بالحكم الشرعي، بل هي عبارة عن حركية وفعالية وتفاعل مستمر في واقع لا يفتأ يتغير بين لحظة وأخرى، فإن ذلك يستدعي ضرورة ربط الرؤية الشرعية للعلاقات الدولية بالواقع المتغير، وطرح المداخل الكفيلة بإضفاء روح التجديد على هذا الحقل المعرفي والإفادة من أبعاد قيمة إسلامية في إثرائه، وجعله منظورا يسترعي اهتمام الباحثين والدارسين للعلاقات الدولية في ظل تزاخم الرؤى والأفكار وطرح البدائل التي من شأنها إيجاد مخرج آمن للإنسانية في العيش المشترك وزنبذ الصراعات والخلافات الدامية .

ولعل النقطة الجديرة بالذكر هنا، والتأكيد عليها، هو طريقة تناول تدريس العلاقات الدولية في كليات الجامعات العربية وموقع هذا المنظور الحضاري من مفردات ما يقدم، وفي جهة مقابلة، ما الكيفية والطريقة التي يدرس بها "فقه العلاقات الدولية" في الكليات التي تصطبغ بصبغة الدراسات الشرعية والإسلامية؟ .

ولعل سؤالاً مهماً يطرح في هذا الخصوص، ما هي المحددات التي ينضبط بها البعد القانوني التشريعي في تناول العلاقات الدولية في الإسلام، في مقابل تناول نفس الموضوع لكن حسب منهجية دراسة العلوم السياسية على اعتبار انتكاء العلاقات الدولية الى هذا الحقل المعرفي (الأم)، وفي سياق ذلك كيف يتفاعل النص الشرعي الإسلامي ليكون ضابطاً ومحددًا للبعد التقني التشريعي (الرؤية الفقهية التي هي العلم بالأحكام الشرعية)، وبين البعد السياسي في الظاهرة الدولية التي ترتد إلى فكرتي "المصلحة والقوة" وهما مفهومان لن ولن يخرجنا عن الضوابط والأحكام الشرعية الإسلامية، ذلك أن المصلحة لن تكون إلا شرعية، وهب حينها مسلك من مسالك ابتناء الأحكام الشرعية .

خلاصة هذه الخاتمة : هو فحوى المنظور الحضاري الإسلامي في العلاقات الدولية، والذي ينطلق من القاعدة الفقهية والأصولية (المرتكز الأساس)، ليوسع من مجالات ودلالات ومتغيرات ومعطيات دراسة العلاقات الدولية في الإسلام من خلال نسق معرفي قيمى إسلامي يتغيا تحقيق الخير والصالح للبشرية جمعاء آخذاً بيدها إلى " ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً".

المراجع

القرآن الكريم

- مصطفى، نادية محمود، وشتا، عبد الونيس، وإسماعيل، عبد الفتاح، وآخرون، العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء الأول: المقدمة العامة للمشروع، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996 / 1417)
- أبو الفضل، منى ، ومحروس، عبد الخبير عطا، العلاقات الدولية: البعد الديني والحضاري ، ط1 (دمشق: دار الفكر، 2008 1429)
- عارف، نصر مُجَّد، ابستمولوجيا السياسة المقارنة، النموذج المعرفي . النظرية . المنهج ، ط1 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، 1422 هـ / 2002 م).
- كون، طوماس، بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1992).
- زقاع، عاذل ، النقاش الرابع بين المقاربات النظرية للعلاقات الدولية، أطروحة دكتوراه علوم في العلوم السياسية، تخصص العلاقات الدولية، إشراف: صالح زيان، (باتنة: جامعة الحاج لخضر، 2008 . 2009)
- بوالشعير، عبد العزيز، النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، ط1 (بيروت: منتدى المعارف، 2014).
- المسيري، عبد الوهاب، العالم من منظور غربي، (دار الهلال، 2001)
- بدوي، مُجَّد طه، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، (بيروت: دار النهضة، 1978).
- فرج، أنور مُجَّد، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، ط1 (السليمانية (العراق): مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2007)
- جيمس دورتي وروبرت بالسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة: وليد عبد الحي، ط1 (الكويت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985)
- نادية محمود مصطفى، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد، مجلة السياسة الدولية ، (العدد 82، أكتوبر 1985)
- وقيع الله، مُجَّد ومُجَّد وقيع الله، مدخل دراسة العلاقات السياسية الدولية، مجلة إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة الرابعة العدد الرابع عشر)
- براون، كريس، فهم العلاقات الدولية، ترجمة: مركز الخليج للنشر، ط1، (دبي (الإمارات العربية المتحدة)): مركز الخليج للنشر، 2004).
- مصطفى، نادية محمود، وعبد الفتاح، سيف الدين، دورة المنهاجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية، حقل العلوم السياسية نموذجاً، بتاريخ: 29 / 7 . 2000 / 8/2 (القاهرة : المعهد العلمي للفكر الإسلامي ومركز الحضارات للدراسات السياسية،)

. حلقة نقاشية حول مفهوم الحضاري ومعالم منظور جديد في العلوم السياسية والاجتماعية، بتاريخ 24 . 25

أكتوبر 2010 ، مركز الحضارة للدراسات السياسية: الرابط

http://www.hadaracenter.com/index.php?option=com_content&view=article&id=115:%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-

مصطفى، نادية ، منهجية إسلامية المعرفة من المنظور والتأصيل إلى خبرة التطبيقات، ضمن: مدحت ماهر وماجدة إبراهيم، مشروع تقويم إسلامية المعرفة بعد ربع قرن، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2008).

ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك الملك في تدبير الممالك، تحقيق: وتعليق وترجمة: حامد عبد الله ربيع ، (القاهرة: مطابع دار الشعب، 1400هـ / 1980)

معاد الخطيب، منى أبو الفضل ومعالم رؤية نسوية بديلة، على الرابط:

<http://www.darbuna.net/blog/2008/11/01/%D9%85%D9%86%D9%89-%D8%A3%D8%A8%D9%88-%>

محمود، نادية مصطفى، في مقدمة تحرير المشروع ضمن: التأصيل النظري للدراسات الحضارية ، الحوار مع الغرب: آلياته . أهدافه . دوافعه، لمنى أبو الفضل وأميمة عبود وإسماعيل وسليمان الخطيب، ط1، (دمشق: مكتبة الأسد، 1429 / 2008).

نادية مصطفى، من أجل منظور حضاري إسلامي لدراسة العلاقات الدولية، مجلة الإحياء، العدد 30 . 31، ذو القعدة 1430 / نوفمبر 2009م)

. نادية مصطفى، أفكار حول إسهام التراث الخلدوني في الفكر الدولي والنظرية الدولية، دراسة استكشافية في الإشكاليات المنهجية، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات ، نوفمبر 2006)

¹ . نادية مصطفى وسيف عبد الفتاح وماجدة إبراهيم، التحول المعرفي والتغيير الحضاري، "1 (مصر: دار البشير، 2011)

. سيف الدين عبد الفتاح وإسماعيل، النظرية السياسية من منظور حضاري إسلامي منهجية التجديد السياسي وخبرة الواقع العربي المعاصر، ط1، (الأردن: المركز العربي للدراسات السياسية، 2002)

. فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي، ط1 (هرنندن، فيرجيني، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2011 / 1432)

. نبيل بن معيوف بن ظفير الغافري، الفقه الحضاري: الواقع والطموح، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية الفقه الحضاري . فقه العمران، ط1(سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1433 هـ / 2012م)

. محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، (مدينة نصر (القاهرة): دار الفكر العربي، 1405 / 1995).